

الحجاب الفريضة التي اكتشف الكثيرون أنها كانت غائبة

لم يُكفر قراء القرآن من قبل عندما التقطوا صوراً مع زوجاتهم غير المحجبات



هذا مقال شائك، محفوف بالمكاره، لا يسعى إلى المناورة، ولا يتوسل بالمرأوة، ولا يدعي الحياد وإن التزم أقصى درجات الموضوعية. ولسلامة الخروج، ستكون الكلمات أقرب إلى كاميرا تستعرض تفاصيل موجودة بالفعل. ولا تطمح الكاميرا إلى أكثر من استعراض المشاهد إلى ما وراءها، وهذا المأوراء يحتمل ربط أسباب بنتائج وتأويلات متنوعة، ولكني لا أنشغل الآن بالكثير من التصوير؛ تادياً لاستفزاز كائنات عارية الأعصاب، مسلحة بأدوات الهجوم والتكفير.

أمين، بدعوته إلى «السفور» والتخلي عن الحجاب، طبقة اجتماعية عليا مستلبة، تتشبهه بتقاليد تركية تلتزم فيها النساء بستر الوجه، للتمييز الطبقي عن طبقات أدنى تمتنع نساءها من التشبه بالهوانم. وبعيداً عن الدائرة العليا الضيقة، كانت المصريات في مكان آخر، ولا يخجلن من وجوههن، ولا تشغلن دعوة السفور؛ لأنهن مسافرات، «شقائق الرجال» حقا، يقتسمن الأعباء في الحقول والمصانع الصغيرة.

في الصور القديمة يقف قراء القرآن بجوار زوجاتهم وبناتهم غير محجبات، ولم يترصدتهم الناس بالانتقاد والتكفير. وإحدى الصور الدالة لمدير جامعة الأزهر الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف وابنته التي قالت إنه لم يلزم بنائه الثلاث بغطاء الرأس، ولم يكلمهن عنه. وكان المشايخ، حتى بدايات سبعينات القرن الماضي، يقومون بالتدريس في المعاهد الأزهرية لطالبات مكشوفات الرؤوس. هذا هو حديث صور ونقت ذلك الزمن، ولعله من آثار الشيخ الإمام محمد عبده الذي كتب في نهاية القرن التاسع عشر «لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب لوجب علي اجتناب البحث فيه.. لأن الأوامر الإلهية يجب الإذعان لها دون بحث ولا مناقشة».

ويضيف في الأعمال الكاملة التي حققها محمد عمارة أن النقاب عادة نتجت من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت من الناس باسم الدين والدين منها براء. وتساءل «كيف يمكن لامرأة محجوبة أن تتخذ صناعة أو تجارة لتعيش منها إن كانت فقيرة؟». وينفي أن تكون لحجاب المرأة أو سفورها علاقة بالآداب «وعلى أي قاعدة بني الفرق بين الرجل والمرأة؟ ليس الأدب في الحقيقة واحداً بالنسبة للرجال والنساء؛ وموضوعه الأعمال والمقاصد لا الأئسكال والملابس؛ وأما خوف الفتنة فهو أمر يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال وليس على النساء تقدير، ولا هن مطالبات بمعرفته».

سعد القرشي
روائي مصري



قناعة أم استعراض

ولم يؤثر إسلامها في زيادة شعبيتها، بل لم يجذب انتباه أحد، ولم تهتم به الصحافة. السطور السابقة رصد موضوعي لا ينقصه الانحياز. ولن أحرّم نفسي من تعليق يخص الرهان على المستقبل في حسم القضايا الخلافية. أوّمن بأن التاريخ دائم الحركة في تفكيك الألعام، وكسح المستعصي منها على التفكيك، وإرشاد البشر إلى المتفق عليه من الأخلاق، وقد اختفت العبودية، وانتهت تجارة الرقيق واقتسام سبانيا الحروب. وفي تركيا حُرمت المطبعة، وفي مصر حُرّم تسجيل القرآن في أسطوانات، وارتبك الفقهاء في إباحة الوضوء من ماء الصنبور لولا شجاعة مفتي «الحنفية»، وأوذيت الطيبة نوال السعداوي لدعوتها إلى تجريم ختان الإناث، ثم انتصر الزمن والعلم للأخلاق، فصدرت فتاوى تنهت عن الختان. والآن تثار قضية زواج المسلمة من الكتابي، معركة للمستقبل.

الفرنسية سورية الأصل مثال ابتسام لغطاء شعرها، ومن تعليقاتهم وفتاواهم «الحجاب زي الصلاة، والصلاة عماد الدين يبقى الحجاب عماد الدين»، إذا لم تؤمن بأن الحجاب فرض من الله، فانصحك بمراجعة عقيدتك، «الحجاب فرض بالقرآن والسنة والإجماع وإنكار فرضيته كفر». أحب المصريون نجيب الريحاني واستيفان روستي، ولم يسألوا عن دين الأول أو جنسية الثاني، ولم تكن ليلى مراد استثناء، وظلت الأعلى أجرا في زمانها؛ لإقبال الجمهور على أفلامها. وفي عام 1946 اختارت التحول من اليهودية إلى الإسلام، حين فاجت زوجها أنور وجدي بسؤال: لماذا لم يطلب إليها أن تسلم حين أراد أن يتزوجها؟ فوافقت أن اعتناق الدين مسألة شخصية جدا، «وكل واحد حرّ في دينه»، فأبديت رغبتها في اعتناق الإسلام. ولم يترتب على اختيارها لدينها الجديد أي تغيير في سلوكها أو علاقاتها الأسرية أو عملها.

أهمية عن التحرر السابق من الاستعمار واللاحق من الاستبداد، وكانت ثورة 25 يناير 2011 عنواناً لهذه الحرية، ولم يشهد زحام ميدان التحرير حالة تحرش واحدة حتى السادسة من مساء 11 فبراير 2011، حين أعلن عن خلع حسني مبارك، الوعي بالحرية أدى إلى احترام حرية الاختلاف، ثم أوصلنا صعود قوى الثورة المضادة إلى انتكاسة مرعبة، لا تضمن معها امرأة قررت خلع الحجاب عواقب هذا السلوك. وكنت أظن هذا خاصة بمصر.

ولا يجتمع النقاب وغضّ البصر، يقول الشيخ «عجبا! لم يؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء إذ خافوا الفتنة عليهن؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة، واعتبر الرجل أعجز من المرأة عن ضبط نفسه؟ والحكم على هواه؟ واعتبرت المرأة أقوى منه في كل ذلك، حتى أبيع للرجال أن يكسفوا وجوههم لأعين النساء مهما كان لهم من الحسن والجمال... إن زعم زاعم صحة هذا الاعتبار رأينا هذا اعترافاً منه بان المرأة أكمل استعداداً من الرجل». ويخفي النقاب شخصية المرأة «فلا تخاف أن يعرفها قريب أو بعيد.. فهي تأتي كل ما تستهيه من ذلك تحت حماية ذلك البرقع وهذا النقاب».

ويجد البعض من المتحرشين مسوغاً بريج الضمير، باستباحة «العاصيات»، ولكن استمراء السوك المرضي وانتفاء الردع القانوني هذا الذي إلى المحجبات والمنقيات، فلا يسلمن منه. القضية عنوانها الحرية الشخصية، وهي لا تقل

الإسلام الاجتماعي إرهاب مجتمعي بقوانين لا علاقة لها بالدين

باحثون يطالبون بتشريح الإسلام الاجتماعي بوصفه مكملاً للإسلام السياسي

يكون الموضوع المطروح في ذلك الفيديو يتعلق إما بالدين أو المرأة وما يتعلق بها وبحياتها". وتنعكس تأثيرات الإسلام الاجتماعي على طبيعة الترابط داخل الأسر عندما تفرض أمور وسلوكيات على الأشخاص بقوة وسلطة الأبوة.



رجا طاب
الإسلام الاجتماعي أنتج خطايا يستتر بالدين لتكريس العادات

وتتكون بناء على ذلك معايير اجتماعية وثقافية وسياسية، تشجع على التعصب الديني والتكنولوجيا، وتوظف كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية. ويعترف كاتب سعودي بأن علاقته بقيت متوترة مع والده منذ الطفولة عندما كان يرغمه مع أخوته على الاستيقاظ فجراً لأداء الصلاة خلفه. ويقول إن والده «كان يلجأ إلى القوة إذا تأخرنا في الاستيقاظ قبل صلاة الفجر، الأمر الذي أصابني بالرهاب الذي يحرمني من النوم خصوصاً عندما يقترب الفجر». ويعطي مثال الكاتب السعودي صورة على فرض السلوكيات على الأشخاص وفقاً لفروض الإسلام الاجتماعي.

وليس الصدر وحده من كان يدفع باتجاه استثمار الإسلام الاجتماعي، بل تتفق غالبية الأحزاب الإسلامية على أهمية ذلك بالنسبة إلى أيديولوجيتها السياسية من أجل قوالب المجتمعات وفق مصالحها.

ويطالب باحثون باستحضار مصطلح «الإسلام الاجتماعي» لتسريحه وتقييمه، بوصفه مكملاً للإسلام السياسي، في المجتمعات المسلمة. ويجمع الباحثون على أن مصطلح الإسلام السياسي قد برز بقوة في القاموس السياسي والإعلامي خلال السنوات القليلة الماضية، فإذا كان هذا الأخير يوظف الدين لخدمة السياسة، فإن الإسلام الاجتماعي «يُرهب المجتمع بالدين ويأسم الله والرسول»، ويعمل على إخضاعه لقوانين وعادات لا علاقة لها بالدين أولاً، ولا علاقة لها بالقانون ثانياً، ومن حيث المبدأ فإن الإسلام السياسي يحتاج بالضرورة للإسلام الاجتماعي والعكس «صحيح».

ويقول الكاتب الأردني رجا طاب «لقد أنتجت هذه الثقافة على وسائل التواصل الاجتماعي خطايا اجتماعياً منحرفاً يستتر بالدين ويوظفه لتكريس عادات وتقاليد وأعراف وليس قيماً دينية أو أخلاقية حيث بات يكفي أن يقوم أحد الأشخاص بتصوير فيديو يتحدث فيه عن سلوك معين أو ظاهرة معينة حتى تضج تلك الوسائل ببردود الفعل المؤيدة أو المعارضة، وغالباً ما

ورفض الصدر الذي يعد من بين أوائل مؤسسي أحزاب الإسلام السياسي في محاضرة له في سبعينات القرن الماضي، ترك الإنسان يعيش في مجتمع «لا يتناسب مع تعاليمنا وتخطيطاتنا»، قائلاً «إذا أردنا للفرق أن يكون صالحاً مؤمناً خلوقاً لا يمكن لنا أن نتجاهل مجتمعه».



الرسالة وحدها كافية للإحساس بالارتياح

وسبق أن دافع رجل الدين الشيعي المغيب موسى الصدر عن دور الإسلام الاجتماعي وفكرة اهتمام الإسلام بهذا الجانب وعدم الاكتفاء بإعطاء التعاليم والمفاهيم في خصوص الإيمان والأخلاق والأفراء، دون أن يهتم بالتواحي الاجتماعية.

وهذا يعني أن على المهاجر المسلم أن يختار بين الهوية للبلد الغربي الذي يعيش فيه، وهوية البلد الذي هاجر منه. ودفعت أحزاب الإسلام السياسي في فترة مبكرة إلى استثمار الإسلام الاجتماعي للتأثير على طبائع الناس، بموازاة عملها السياسي.

لندن - فيما يزداد التركيز في مراكز البحوث والدراسات على تأثيرات الإسلام السياسي بوصفه القوة الدينية التي توجه الحكم السياسي، فإن الإسلام الاجتماعي يتحرك بطريقة موازية ليسير الأفراد، ويدخل المجالات الخاصة، ويفرض أفكاراً تصادر حرية الناس الشخصية، وهي معتقدات تختلف في فرض قوانينها من فرد إلى آخر، لكنها تظل دائماً اختياراً صعباً يضع المسلمين أمام تحديات كثيرة في تفاصيل حياتهم اليومية. ويتصاعد البعد الاجتماعي للحكم في سلوك الناس وتحركاتهم وما يرتدونه ويشربونه ويأكلونه، وهذا نتيجة لتأثيرات الإسلام السياسي الموجه للحكم، والدافع إلى تفعيل الإسلام الاجتماعي لتغيير طبيعة المجتمعات. ولا تقتصر تأثيرات الإسلام الاجتماعي على المجتمعات الإسلامية في أفعال تبدأ من إرغام الفتيات الصغيرات على ارتداء الحجاب وفرض نوعية معينة من اللباس، وإطلاق اللحن بالنسبة للرجال، وتحديد كيفية تعامل الإباء مع أبنائهم والرجال مع زوجاتهم، بل امتدت إلى الجاليات المسلمة في الغرب، عندما تروج المراكز الإسلامية إلى سلوكيات في مجتمعات غير مسلمة، مثل اللحم الحلال في محاولة لفرض طبائع غذائية واجتماعية لتغيير هوية المغترب وقبولته وعزله عن باقي المجتمع.

90
في المئة من المصريات يتعرضن للتحرش، والنسبة الضئيلة الباقية لا يعصمها من التحرش حجاب أو نقاب